دور الأداء الصوتي والبنية الصرفية في التحليل النحوي عند أبي جعفر النحّاس(ت٣٣٨هـ)

سعيد سلمان جبر

الجامعة المستنصرية / كلية الآداب

لا شكّ أنَّ هناك صلة واتصالا وثيقاً بين علوم العربية المختلفة من صوت وصرف ونحو ومعجم . وأنّ اللّبنة الأولى التي ترتكز عليها العلوم جميعاً هي الصوت وأنّه لمن الخطأ أنْ يُهمل دور الصوت في إجراء البحوث وتحليل المادة اللغوية، وهذا يعني ضرورة ربط النحو ربطاً وثيقاً بعلم الأصوات والصرف، و هذا ما يراه المحققون الذين يذهبون إلى أنّ النحو في أساسه بُني على علم الأصوات [1]. وما يعنينا في هذا المقام هي تلك الملامح الصوتية التي تصاحب التركيب اللغوي وتساعد على فهمه وإدراكه كالوقف والابتداء والتخفيف والتشديد .

أمّا علم الصرف فهو كغيره من العلوم يهدف إلى بيان خواص اللغة وتحليل مميزاتها، وله الأثر الكبير في كشف وفهم العلاقات النحوية في الجملة [2]، إذ لا يفصل الصرف عن النحو خط عريض، بل خط رفيع جداً بحيث تتداخل أحياناً الظواهر النحوية والصرفية في إطار الظاهرة الصوتية التي ينبنيان عليها [3] .

لذا يمكن القول إنّ الدلالة الصوتية والصرفية والمعجمية والنحوية تتضافر جميعاً لأداء المعنى النحوي الدلالي [4]. غير أنّ ارتباط الصرف بالنحو خاصة يتضح في أن مجمل مسائل الصرف لا تظهر قيمتها ولا تفيد كثيراً بذاتها ما لم تكن لها مواقع في التركيب [5]. وبالمقابل فإنّه لا وجود للمعنى الوظيفي النحوي إلّا من خلال ما يقدمه علم الصرف من مبانٍ صالحة للتعبير عن تلك الوظائف والعلاقات النحوية [6]. وقد تنبّه النحّاس إلى أهمية الأداء الصوتي والبنية الصرفية في التحليل النحوي وأثرهما في بيان الدلالة العامة للتركيب وذلك على النحو الآتي :

(1) ينظر : علم اللغة العام الأصوات ٤٢ – ٤٣ .
(2) ينظر : دور الصرف في منهجي النحو والمعجم ١٤ .
(3) المنهج الصوتي للبنية العربية ١٥ .
(4) ينظر : الدلالة والتقعيد النحوي ٢٢ .
(5) ينظر : التفكير اللغوي بين القديم والجديد ٨٥ .
(6) ينظر : الدلالة والتقعيد النحوي ١٢٥ .

– دور الأداء الصوتي في التحليل النحوي :

١ – الوقف المعنوي :

ذكر النحّاس مفهوم الوقف في معرض حديثه عن معنى البيان إذّ وازن بين مفهومي الوقف والتبيين من خلال تفسير معنى الترتيل، إذّ جعل معنى الترتيل البيان، وهو تفصيل الحروف والوقوف على ما قد تمَّ والابتداء بما يَحْسُن به الابتداء به، وتثبيت ما يجب أنْ يجتنب من ذلك) .

والوقف نوعان : لفظي ومعنوي ، وقد اقتصر النحّاس في كتابة القطع والائتناف) على المعنوي فحسب؛ لأنّ مواضع القطع والائتناف مرتبطة بالمعنى، وبالحكم الإعرابي ، وهذا ما عبرّ عنه النحّاس بقوله : فقد صار في معرفة الوقف والائتناف التفريق بين المعاني فينبغي لقارئ القرآن إذا قرأ أن يتفهم ما يقرأ، ويشغل قلبه به، ويتفقد القطع والائتناف ويحرص على أنّ يُفْهِم المستمعين في الصلاة وغيرها، وأن يكون وقفه عند كلام مستغن أو شبيه، وأن يكون ابتداؤه حسناً) .

ويُفْهم من كلام النحّاس أنّه ينبغي على القارئ أنْ يعرف ما يوقف عليه، أي : أنْ يعرف مواضع الوقف، وهذا يكون بحسب المعاني، وانفصال بعض الكلام عن بعض أو تعلقه به، لذا سُمي الوقف معنوياً، لتعلقه بالمعنى أو بالوقف النحوي لمراعاته الأحكام النحوية) .

ويتجلى ذلك في عدد من المواضع التي سنقف عليها عند النحّاس، منها : أنّ النحّاس ميّز دلالة الجملة عن طريق بيان المعاني المحتملة بعد الوقف (١) وذلك في قوله تعالى : وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـــكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً * بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ النساء ٥٧ ١٥٨ .

ذكر النحّاس أنَّ أحمد بن موسى قال : وما قتلوه) تمام . وعليه فإنّ النحّاس قد وجه قوله تعالى : يقيناً بل رفعه الله إليه) توجيهات عدة :

الأول : إنْ قُدِرَ على أنْ يكون المعنى : بل رفعه الله إليه يقيناً كان خطأً؛ لأنّه لا يعمل ما بعد بل) فيما قبلها؛ لضعف بل) .

) القطع والائتناف ٢٤ .
) ينظر : الوقف الصرفي ١٥ .
) القطع والائتناف ١٧ .
) ينظر : النشر في القراءات العشر ١ ٢٣٠ .
) ينظر : علم الوقف والابتداء في القرآن الكريم واللغة العربية ١٤ .

والثاني : وإنْ قُدِر : وما قتلوه، قال الله : هذا قولاً يقيناً جازماً وتكون الهاء عائدة على عيسى – عليه السلام – وهذا الكلام عنده خارج عن قول أهل التأويل . غير أنَّ الزجّاج جوّز عود الهاء على عيسى – عليه السلام - (٢) .

والثالث : ما روي عن ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال : وما قتلوا ظنّهم يقيناً، وقال أبو عبيد، لو كان المعنى : وما قتلوا عيسى يقيناً، لكان : وما قتلوا فقد .

والرابع : أنّ المعنى : وما قتلوا العلم يقيناً، أي : أنّ الهاء تعود للعلم . كما تقول : قتلته علماً وقتلته يقيناً (٣) . وأجازه الزجّاج كذلك (٤) . وهذا فيه مبالغة وتهكم، لأنّه إذا نفى عنهم العلم نفياً كلياً ثم قيل : وعلموه علم يقين، لم يكن هذا إلّا تهكماً بهم (٥) .

والخامس : أنْ يكون المعنى : وما قتلوا الذي شُبه لهم يقيناً أنّه عيسى، بل قتلوه على شكٍ (٦) .

ويبدو أنّ الذي دعا النحّاس إلى إيراد هذه الاحتمالات، هو مجيء (يقيناً) منصوباً بعد تمام القول، ولا بدّ له من عامل لكي يكون المعنى متسقاً مع الجملة التي وَقِفَ عليها (وما قتلو). وقد يختلف المعنى عند تنوين اللفظ وقطعه عمّا بعده أو عدم تنوينه ووصله بما بعده من الكلام ، نحو قوله تعالى : ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ إبراهيم ٣٤ .

ذكر النحّاس أنّ سلّاماً أبا المنذر قرأ : (من كلٍ) منوناً (٧) . وهي كذلك قراءة ابن عباس والحسن والضحاك ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، وعمرو بن فائد، ويعقوب (٨) . فأشار النحّاس أنّ على هذه القراءة يكون قطعاً كافياً، ثم يبتدأ (ما سألتمو) يجعل (ما) نافية؛ لأنّ الله عز وجل قد أعطانا أشياءً لم نسألها منها : الشمس والقمر وما لا يحصى (٩) .

أمّا على قراءة العامة، وهي عدم تنوين (كل) (١٠) وإضافته إلى ما بعده فكان قطعه الكافي (وآتاكم من كلّ ما سألتموه). وهذه القراءة هي الأعجب عند الفرّاء؛ لأنّ المعنى : آتاكم

---

(٢) ينظر : معاني القرآن وإعرابه ٢/ ١٠٤.
(٣) ينظر : معاني القرآن ، الفرّاء ١/ ٢٩٤.
(٤) ينظر : معاني القرآن وإعرابه ٢/ ١٠٤.
(٥) ينظر : الكشاف ١/ ١٢١.
(٦) ينظر : القطع والائتناف ٢٧٥.
(٧) ينظر : القطع والائتناف ١٦٤.
(٨) ينظر : المحتسب ١/ ٢٨٠.
(٩) ينظر : معاني القرآن، الفرّاء ٢/ ٧٨ ، والقطع والائتناف ١٦٤.
(١٠) ينظر : معاني القراءات ٢٣٦.

من كل ما سألتموه لو سألتموه، كأنّك قلت : وآتاكم كُلَّ سؤلِك . ألا ترى أنّك تقول للرجل لم يسأل شيئاً ، والله لأعطينك سؤلك : ما لغته مسألتك وإن لم تسأل [١] .

وقد يجعل النحّاس صحة الوقف متعلقة بالعامل النحوي، من ذلك قوله تعالى : وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ الحج ٧٨ . إذ قال : ويحتاج إلى المعرفة بالنحو وتقديراته، ألا ترى أنّ مَنْ قال (مِلّةَ أبيكُمْ إبراهيم) منصوبة بمعنى : كَمِلّة، وأعمل فيها ما قبلها لم يقف على ما قبلها، ومَنْ نصبها على الإغراء وقف على ما قبلها) [٢] .

وقد فصّل النحّاس هذا الوقف في موضعه في سورة الحج، وذكر أنّ التمام على قوله تعالى : وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُم في الدِيّنِ مِنْ حَرَجٍ) وهو قول أحمد بن موسى، وكذا قول أبي إسحاق الزجّاج، لأنّ التقدير عند الزجّاج : اتبعوا ملة أبيكم إبراهيم [٣] .

ثم يذكر أنَّ هذا التقدير مخالف لقول الفرّاء، لأ نّ التقدير عنده : كملَّةِ أبيكم، ثم حذف الكاف، لأنّ معنى : وما جَعلَ عليكم في الدين من حرج، وسّعَ عليكم كملة أبيكم [٤] . والقول الأول أولى عند النحّاس؛ لأنّ حذف الكاف لا يوجب النصب، وقد أجمع النحويون أنّه إذا قيل : زيدٌ كالأسد ثم حذف الكاف، لم يجز النصب، وكذ لك فإنّ قبل : اركعوا واسجدوا) فالظاهر عنده أن يكون هذا على الأمر أي : اتبعوا ملة أبيكم إبراهيم [٥] . والجدير بالذكر أنّ النحّاس أغفل التقدير الثاني الذي ذكره الفرّاء وقد تنصب ملة إبراهيم) على الأمر بها، لأنّ أول الكلام أمرٌ كأنّه قال اركعوا والزموا ملة إبراهيم) [٦] .

وهذا التقدير نفسه الذي رجحه النحّاس عن الزجّاج، علماً أن النحّاس قد أغفل كذلك التقدير الآخر الذي ذكره الزجّاج بقوله : وجائز أن يكون منصوباً بقوله : اعْبدُوا ربكم واقْعلُوا الخَيْرَ فعل أبيكُمْ إبراهيم) [٧] . وقد يربط النحّاس بين الوقف وبين دلالة التركيب النحوي، كما في قوله تعالى : (فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاء أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ محمد ١٨ ذكر النحّاس أن في قوله تعالى : فَقَد جَاء أَشْرَاطُهَا) قطعاً كافياً [٨] .

(١) ينظر : معاني القرآن ، الفرّاء ٢ / ١٨٧ .
(٢) القطع والائتناف ١٥ .
(٣) ينظر : معاني القرآن وإعرابه ٣ / ٥٧٢ ، والقطع والائتناف ٤٩٦ .
(٤) ينظر : معاني القرآن ، الفرّاء ٢ / ٢٣١ ، والقطع والائتناف ٤٩٦ - ٤٩٧ .
(٥) ينظر : القطع والائتناف ٤٩٧ .
(٦) معاني القرآن، الفرّاء ٢ / ٢٣١ .
(٧) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ٣٥٧ .
(٨) ينظر : القطع والائتناف ٦٦٢ .

أما الفرّاء فقد أجاز الوقف على قوله : هل ينظرون إلّا الساعة) ثم تبتدأ إنْ تأتهم) وتجيئها بالفاء على الجزاء، والجزم جائز، وإنّما أجاز ذلك لحديث أبي جعفر الرؤاسي الذي قال فيه : قلت : لأبي عمرو بن العلاء ، ما هذه الفاء التي في قوله : فقَدْ جَاءَ أشْرَاطُها) ؟ قال : جواب للجزاء، قال : قلت : إنّها أنْ تأتيهم) مفتوحة . قال : فقال : معاذ الله إنّما هي : إنْ تَأتِهم) [19] .

ويرى النحّاس أنّه لا يعرف هذا عن أبي عمرو إلّا من هذه الطريق المعروف عنه أنّه قرأ أنْ تأتِيَهُ) . ثم يصف تلك القراءة التي نقلت عن أبي عمرو في هذه الرواية بالشذوذ ومخالفة السواد والخروج عن حجة الجماعة . ويرى أنّها مردودة من جهة المعنى أكثر؛ لأنّه لو كان إنْ تأتيهم بغتة) لكان المعنى : يمكن أنْ تأتي بغتة وغير بغتة [20] ، وقد قال الله جلّ وعزّ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً الأعراف ١٨٧ .

وقد ردّ ابن جني على هذا قائلاً : قيل لفظ الشك من الله سبحانه، ومعناه : منّا ، أي : إنْ شكّوا في مجيئها بغتة فقد جاء أشراطها، أي أعلامها، فهلا توقعوها، وتأهبوا لوقوعها مع دواعي العلم بذلك لهم إلى حال وقوعها [21] .

ورفضُ النحّاس أنْ تكون أنْ) شرطية لأنّ جملة أنْ تأتِيَهُ) متعلقة بما قبلها، ولا يجوز الوقف عندها، لأنّها إذا كانت غير شرطية ستُعرب نصب على البدل من الساعة، المعنى : فَهَلْ يَنْظُرُونَ إلّا أنْ تَأتَيَهُمْ السَّاعَةَ بَغْتَةً، وهذا من البدل المشتمل على الأول في المعنى [22] .

٢. التخفيف والتشديد:

تنبّه علماء العربية إلى أنّ لكل صيغة من صيغ الكلام دلالة معينة، فإذا أراد المتكلم الزيادة في دلالة هذه الصيغ لجأ إلى وسائل تعينه على تحقيق غرضه، منها : التضعيف أو التشديد، فيعقب الزيادة في المبنى زيادة في المعنى [23] .

قال ابن جني : إنّ الأصوات تابعة للمعاني، فمتى قويت قويت ومتى ضعفت ضعفت، ويكفيك من ذلك قولهم : قطَعَ وقطّعَ، وكَسَرَ وكَسَّرَ، زادوا في الصوت لزيادة المعنى،

---

١٩) ينظر : معاني القرآن، الفرّاء ٣ ٦١ ، وإعراب القرآن، النحّاس ٤ ١٨٥ .
٢٠) ينظر : إعراب القرآن ، النحّاس ٤ ١٨٥ .
٢١) المحتسب ٢ ٢٧٠ .
٢٢) معاني القرآن وإعرابه ٥ ١٠ .
٢٣) ينظر : التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة ٢٣ .

واقتصدوا فيه لاقتصادهم فيه)[٤]. فقد عقد ابن جني صلة وثيقة بين عين الكلمة المضعّفة وبين المعنى القوي، فالتضعيف يعبّر عن القوة وشدّة الحدث وتكريره . وهذا ما تنبّه إليه النحّاس في مواضع كثيرة، يمكن أنْ نذكر بعضاً منها، نحو قوله تعالى : (وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) يوسف ٢٣.

ذكر النحّاس أنّ (غلَّق) هنا للتكثير، ولا يقال : غلَّقَ الباب، وأغْلَق يقع للكثير والقليل[٥]. كما قال الفرزدق في أبي عمرو بن العلاء

ما زِلْتُ أَفْتَحُ أبواباً وأغلِقُها حَتّى أتيْتُ أبا عَمرو بنَ عمّار[٦]

والملاحظ على كلام النحّاس أنّه لا يُستعمل الفعل (غلّق) مشدداً إلّا إذا كانت الأبواب كثير . وهذا ما أكده أبو السعود في قوله : (قيل : كانت سبعة؛ ولذلك جاء الفعل بصيغة التفعيل دون الإفعال، وقيل : للمبالغة في الإثبات والإحكام)[٧].

أي : يحتمل أنْ يكون التشديد في الفعل جاء للدلالة على التكثير في المفعول (الأبواب)، أو أنْ يكون معنى التشديد هو للتكثير في الفعل، أي : كأنّه، غلق مرة بعد مرة . أو بمغلاق بعد مغلاق[٨]. ويبدو أنّ الراجح هو أنْ يكون التكثير في الأبواب، لأنّ التكثير في الفعل أي : إغلاق الباب مرة بعد أخرى ليس فيه من المبالغة والتوكيد بما في تعدد الأبواب الذي يدل على الحيطة والحذر الشديد المرافق للحدث، وهو المراودة . ونظيره قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء) الأعراف ٤٠.

ذكر النحّاس أنّ قوله : (لا تُفَتَّح) بالتشديد هي قراءة نافع[٩]، وكذلك قرأ بها ابن كثير وعاصم وابن عامر[١٠]، ويعقوب[١١]. وقرأ الأعمش وحمزة والكسائي (لا تُفتَح) بالياء على تذكير الجمع والتأنيث على تأنيث الجماعة . والتخفيف يكون للقليل والكثير، والتثقيل للكثير لا غير . ويرى النحّاس أنّ التنزيل هنا أولى؛ لأنّه على الكثير أدل[١٢]. لأنّ المعنى في : (فُتّحت

٤) المحتسب ١/ ٥٥.
٥) ينظر : إعراب القرآن، النحّاس ٢/ ١٩٧.
٦) شرح ديوان الفرزدق (الصاوي) ديوانه ٢/ ٨٢، والكتاب ٢/ ٥٠٦، وتحصيل عين الذهب ٥١١ وفيها : ما زِلْتُ أُغْلِقُ أبواباً وأَفْتَحُهُ .
٧) إرشاد العقل السليم ٣/ ١٩٤.
٨) ينظر : روح المعاني ١/ ٤٥.
٩) ينظر : إعراب القرآن، النحّاس ٢/ ١٢٥.
١٠) ينظر : السبعة في القراءات ٢٨٠.
١١) ينظر : معاني القراءات ١٧٩.
١٢) ينظر : إعراب القرآن ، النحّاس ٢/ ١٢٥.

السماء على أبوابها، والمعنى : فكانت ذاتَ أبوبٍ (٣). والتشديد هو تأكيد على النفي أي : لا تصعد أرواحهم ولا أعمالهم، لأنّ أعمال المؤمنين وأرواحهم تصعد إلى السماء (٤).

يتضح مما تقدم أنّ التشديد مرتبط بمعنى التركيب، ودلالة السياق، فهما اللذان يستوجبان المبالغة والتكثير . وقد يتطلب السياق التخفيف كما ذكر النحّاس في قوله تعالى : (مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى) النجم ١١.

فذكر النحّاس أنّ (كَذَب) بالتخفيف قراءة أكثر القرّاء (٥)، وقرأ الحسن وقتادة ويزيد بن القعقاع وعاصم الجحدري (ما كَذَّب) مشدداً (٦). وفي رواية هشام بن عمار عن ابن عامر أنّه قرأ (كَذَّب) مشدداً (٧)، وفي رواية ابن ذكوان قرأ بالتخفيف (٨).

والتقدير في التخفيف : ما كَذَبَ فؤاد محمدٍ محمداً فيما رآه، وحُذِفت (في) كما حُذِفت (من) في قوله جلّ وعزّ : (وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً) الأعراف ١٥٥. لأنّه ممّا يتعدى إلى مفعولين أحدهما بحرف، ثُمّ بيّن النحّاس قراءة التشديد فذكر أنّ مَنْ قرأ (كذّب) على رأي الفرّاء يجوز أن يكون أراد صاحب الفؤاد، وأجاز أن يكون معنى : ما كَذّب : صَدَّق (٩).

وقراءة التخفيف أبين معنى عند النحّاس ، والتشديد بعيدة، لأن معناه . قبِلَهُ، وإذا قبلَه الفؤادُ ، أي : عَلِمَهُ، فلا معنى للتكذيب والقراءة بالتخفيف بينة ، أي : صَدَقَه (١٠).

والرأي عندي أنّ التخفيف والتشديد يدلان على التصديق ، وعدم تكذيب المرئي غير أنّ التشديد أقوى وأدل على المعنى المراد من التخفيف . ومما يؤكد ذلك، ما ذهب إليه أبو علي الفارسي في قوله : فمعنى : ما كذب الفؤاد ما رأي : لم يكذب فؤاده ما أدركه بصرهُ، أي : كانت رؤيا صحيحة غير كاذبة، وإدراكاً على الحقيقة، ويشبه أنْ يكون الذي شدّد، فقال : (كَذَّب) شدّد لهذا المعنى وأكّد (١١).

---

(٣) الحجة للقراء السبعة ٤ : ١٨.
(٤) معاني القرآن وإعرابه ٢ : ٢٧٣.
(٥) ينظر : إعراب القرآن ، النحّاس ٤ : ٢٦٧ ، والسبعة في القراءات ٦١٤.
(٦) ينظر ، إعراب القرآن ، النحّاس ٤ : ٢٦٧ - ٢٦٨.
(٧) ينظر : السبعة في القراءات ٦١٤ ، ومعاني القراءات ٤٦٦.
(٨) ينظر : السبعة في القراءات ٦١٤.
(٩) ينظر : معاني القرآن ، الفرّاء ٣ : ٩٦ ، وإعراب القرآن ، النحّاس ٤ : ٢٦٨.
(١٠) ينظر : إعراب القرآن، النحّاس ٤ : ٢٦٨.
(١١) الحجة للقراء السبعة ٦ : ٢٣١.

وقد يجعل النحّاس معنى التشديد والتخفيف واحداً كما في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاء رَكَّبَكَ (الانفطار ٨). فقرأ أهل الحرمين والبصرة والشام (فَعَدَّلَكَ) بالتشديد، وقرأ الكوفيون بالتخفيف (٢).

وذكر النحّاس أنّ قراءة التخفيف مستبعدة عند الفرّاء وإنْ كانت قراءة أصحابه؛ لأنّه إنّما يقال : عدلْتُه إلى كذا، وصرفته إليه، ولا يُكاد يقال : عَدَّلْتُه في كذا ولا صَرَّفْتُه، وهذا غلط عند النحّاس؛ لأنّ الكلام تام عند (فَعَدَلَكَ) و (في) متعلقة بـ (ركّبك) لا بـ (عَدَلَكَ) فيكون كما قال . ومعنى : عَدَلَك في اللغة خلقك معتدلاً، لا يزيد رجل على رجل، وكذا سائر خَلْقِكَ . وقد يكون : (عدَّلَكَ) تكثير (عَدَلَكَ) فيكونان بمعنى واحد ، كما قال ابن الزبعرى :

وَعَدَلْنَا مِثْلَ بَدْرٍ فاعْتَدَلَ (٣)

أي : قتلنا منهم مثل مَنْ قتلوا منّا، وقد قيل : عَدَلَكَ، أمالَكَ إلى ما شاء من حُسن وقُبْح وصحة وسقم (٤).

والحق أنّ الفرّاء لم يستبعد قراءة التخفيف، بل ذهب إلى أنّ قراءة التشديد أعجب الوجهين إليه، وأجودهما في العربية، وعلل ذلك بقوله : (لأنّك تقول : في أي صورة ما شاء ركبك، فتجعل (في) للتركيب أقوى في العربية من أنْ يكون (في) للعدل؛ لأنّك تقول : عَدَلْتُكَ إلى كذا وكذا، وصرفتك إلى كذا وكذا، أجود من أنْ تقول : عدلتُك فيه وصرفتك فيه) (٥).

وهذا ما يتناقض مع ما ذكره النحّاس عن الفرّاء، فكانت تخطئة النحّاس للفراء ليست في محلها؛ لأنّ الفرّاء جعل (في) متعلقة بـ (ركبك) وهي في هذا أقوى في العربية من أنْ تكون متعلقة بـ (عدّلك) . وهذا عكس ما فهمه النحّاس من كلام الفرّاء .

وقد فرّق الفرّاء بين القراءتين في الدلالة، فمعنى قراءة التخفيف (صرفك إلى أي صورة شاء، أمّا حسَن، أو قبيح، أو طويل، أو قصير . أمّا قراءة التشديد فالمراد بها : جعلك معتدلاً معدّل الخلق (٦).

(٢) ينظر : إعراب القرآن ، النحّاس ٥/ ٦٨ ، ومعاني القراءات ٣/ ١٢٣ .
(٣) ديوانه ٩٣ ، وتمامه : لَيْتَ أَشْيَاخِي بِبَدْرٍ شَهِدوا وَعَدَلْنا مَيْلَ ....
(٤) ينظر : إعراب القرآن، النحّاس ٥/ ١٦٩ .
(٥) معاني القرآن، الفرّاء ٣/ ٢٤٤ .
(٦) المصدر نفسه ٣/ ٢٤٤ .

ب. دور البنية الصرفية في التحليل النحوي:

أبنية الأسماء :

١. المصـدر :

المصدر : هو اسم يدل على الحدث مجرداً من الزمن[٥٧].

وقد تنبّه لنحّاس إلى أثر المصدر في التحليل النحوي كما في تعالى : ﴿يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرّ﴾ القيامة ١٠ . فذكر أن (المَفَر) مصدر بلا اختلاف، والمعنى : أين الفرار؟ وأشار إلى أنّ ابن عيينه روى عن عمرو بن دينار ، قال : سمعت ابن عباس يقرأ : أين المَف ر). وعقّب النحّاس على هذا بأنّه إسناد مستقيم، وهو عند البصريين اسم للمكان [٥٨]. قال الأخفش : وإذا أراد المكان قال : المَفِرُ، وقد قُرِئت : أين المَفِرُ ؛ لأنّ كلَّ ما كان فعله على يَفْعِل ، كان المفَعِل منه مكسوراً، نحو المَضْرِب، إذا أردت المكان الذي يُضْرب فيه[٥٩].

ثم ذكر النحّاس أنّ الفرّاء أجاز في المصدر الكسر، قال الفرّاء : وما كان يَفْعِل فيه مكسوراً مثل : يَدِب، ويَفِر، ويَصِح، فالعرب تقول : مَفِر ومَفَر، ومَصِحُ ومَصَح ومَدِب ومَدَب[٦٠]. ويرى الراغب الأصفهاني أنّ (المَفَر) يحتمل موضع الفرار ووقته و لفرار نفسه[٦١]

أما الدكتور فاضل السامرائي فيرى أنّ المَفَر ليس مطابقاً للفرار تماماً - وإلّا فما اختلفت صيغته – بل ثمة اختلاف بينهما وهو أنّ المَفَرّ يحمل معه عنصر الذات بخلاف الفرار فإنه حدث مجرد من كل شيء [٦٢]. فضلاً عن ذلك أنّ المفرّ يدلّ على بلوغ نهاية لأمر من غير عودة بخلاف الفرار الذي يحتمل العودة. وقد يرجح النحّاس بناءً على آخر ليتناسب مع دلالة السياق نحو قوله تعالى : ﴿خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيم﴾ البقرة ٧.

---

(٥٧) ينظر : المهذب في علم التصريف ٢٢٣.
(٥٨) ينظر : معاني القرآن وإعرابه ٥ ٩٧ ، وإعراب القرآن، النحّاس ٥ ١ ، والمحتسب ٢ ٢ ٠ ٣ ٤٠٣ ، وذكر فيه إنها قراءة ابن عباس وعكرمة وأيوب والحسن .
(٥٩) معاني القرآن ، الأخفش ٢ ٥٧٥ .
(٦٠) معاني القرآن، الفرّاء ٣ ٢١٠ .
(٦١) ينظر : المفردات في غريب القرآن ٣٧٦ .
(٦٢) ينظر : معاني الأبنية ٢٤ .

ذكر النحّاس أنّ ا حسن قرأ غُشاوَ) بضم الغين [٣] . وقرأ أبو حيوة غَشَاوَ) بالفتح . ورجح غِشَاوَ) بكسر الغين، وعدّها أجود القراءات [٤] . وعلّل ذلك بأنّ العرب تستعمل هذا البناء في كل ما كان مشتملاً على الشيء نحو عِمامة وقِلادة [٥] . ومعنى : الغِشاوة ما يغطّى به الشيء [٦] ، وعلى هذا يمكن إنما كان اختيار النحّاس لهذا البناء لتوافقه مع سياق الآية ، فضلاً عن دلالته القول بأنّ كل ما كان مشتملاً على الشيء فإنّه يدل على أنّ هذا الغِشاء أي : أنّ الغطاء، تمكّن من أبصارهم إلى حدٍ انعدمت الرؤية لديهم فلا يروّن الحقَّ فيتبعون .

قال الزمخشري : لأنّ الحقَّ لا ينفذ فيها ولا يخلص إلى ضمائرها من قبل إعراضهم عنه واستكبارهم عن قبوله واعتقاده وأسماعهم لأنها تمجه وتنبو عن الإصغاء إليه وتعافُ استماعه كأنها مستوثق منها بالختم، وأبصارهم؛ لأنّها لا تجتلي آيات الله المعروضة ودلائله المنصوبة كما تجتليها عين المعتبرين المستبصرين، فكأنّما غطّى عليها وحُجبت وحِيلَ بينها وبين الإدراك [٧] .

٢. المشتقات:

لاحظ النحّاس في تحليليه للنصوص اللغوية الأثر الدلالي الذي أضْفَتْه المشتقات للتراكيب، وحاول أنْ يبين هذا الأثر في وقوفه على عددٍ منها، وأهم هذه المشتقات :

اسم الفاعل وصيغ المبالغة :

حدّ العيني اسم الفاعل بأنه اسم مشتق من المضارع لمن قام به الفعل واشتق منه لمناسبتهما في الوقوع صفة للنكرة [٨] . وإنّما اشتق من المضارع؛ لأنّه وصف يدل على حدث وزمن في الحال والاستقبال، وهذا هو زمن المضارع كذلك، إذنْ فكلاهما يدل ع لى الاستمرار [٩] .

---

(٣) ينظر : إتحاف فضلاء البشر ١٦٩ .
(٤) ينظر : إعراب القرآن، النحّاس ١ ٨٦ ، ومعاني القراءات ٤٠ . وجاء فيه اتفق القرّاء على غِشاو) بالرفع).
(٥) ينظر : معاني القرآن وإعرابه ١ ٠١ ، وإعراب القرآن ، النحّاس ١ ٨٦ ، ولسان العرب ، مادة غشى) ٦ ٢٦١ .
(٦) المفردات في غريب القرآن ٦٣ ، ولسان العرب مادة غشى ٦ ٢٦١ .
(٧) الكشاف ١ ١٨ .
(٨) شرح المراح في التصريف ١٥ .
(٩) ينظر : المنهج الصوتي للبنية العربية ١٤ .

وقد وقف النحّاس على عددٍ من صيغ اسم الفاعل وبيّن علاقتها في التركيب النحوي، إذ يمكن بيان ذلك في قوله تعالى : ﴿قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ هود ٤٣ .

حيث ربط النحّاس بين دلالة اسم الفاعل وبين الاستثناء في توجيهه لهذه الآية . فذكر أنّ قوله : (إلّا مَنْ رَحِمَ) في موضع نصب استثناء ليس من الأول [٢٠]، أي : استثناء منقطع، فيكون (عاصِمٍ) على بابه تقدير : لا أحد يمنع من أمر الله لكنْ من رَحِمَ اللهُ فإنه مَعْصُوم [٢١] . ثم جوّز النحّاس أنْ يكون (إلّا مَنْ رَحِمَ) في موضع رفع على أنّ (عاصِم) بمعنى : معصوم [٢٢]، مثل قوله تعالى : ﴿مَّاء دَافِقٍ﴾ الطارق ٦، فعلى هذا يكون التقدير : لا معصومَ من أمر الله اليومَ إلّا المرحوم [٢٣] . ثم أشار النحّاس إلى أنّ أحسن ما قيل فيه : أن يكون (مَن) في موضع رفع، والمعنى : لا يعصمُ اليوم من أمر الله إلّا الراحمُ، أي : إلّا اللهُ جلّ وعز . وحسن هذا لأنّك لم تجعل (عاصِم) بمعنى : (مَعْصُوم) ، فتخرجه من بابه [٢٤] .

وهذا هو الراجح لبقاء صيغة اسم الفاعل على بابها من الدلالة على الحدث وصاحبه، فضلاً عن ذلك أنّ السياق أشار إلى أنّ الله تعالى رحيم وأنه برحمته سيخلص هؤلاء الذين ركبوا السفينة، قال تعالى : ﴿وَقَالَ ارْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ اللّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ هود ٤١ . وعلى هذا يمكن القول أن السياق له أثر في تحديد الصيغة ودلالتها [٢٥] .

وقد يأتي اسم الفاعل نعتاً، فتختلف توجيهات النحويين في دلالته نحو قوله تعالى : ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ الطارق ٥ – ٧ . قال النحّاس : إنّ قول الكسائي والفرّاء إنّ معنى : دافق، هو : مدفوق ثم ذكر النحّاس قول الفرّاء إنّ أهل الحجاز أفعلُ الناس لهذا، يأتون بفاعل بمعنى مفعول إذا كان نعتاً، مثل : ماءٍ دافق ، وسرٍ كاتمٍ أي : مكتوم . وأعان على ذلك أنّها توافق رؤوس الآيات التي هنّ معهن [٢٦] .

---

(٢٠) ينظر : إعراب القرآن ، النحّاس ٢/ ٢٨٥ .
(٢١) ينظر : مشكل إعراب القرآن ١/ ٤٠٥ .
(٢٢) ينظر : إعراب القرآن ، النحّاس ٢/ ٢٨٥ .
(٢٣) مشكل إعراب القرآن ١/ ٤٠٥ .
(٢٤) ينظر : إعراب القرآن ، النحّاس ٢/ ٢٨٥ .
(٢٥) ينظر : البنى والدلالات في لغة القصص القرآني ١١ .
(٢٦) ينظر : معاني القرآن ، الفرّاء ٢/ ٢٥٥ ، وإعراب القرآن، النحّاس ٥/ ١٩٨ .

وهذا الأمر مردود عند النحّاس؛ لأنّ فاعِل) بمعنى : مفعول) فيه بطلان للبيان، ولا يصح ولا ينقاس، ولو جاز هذا لجاز ضارب) بمعنى : مَضْرُوب) ، والقول عند البصريين، أنّه على النسب [٧] ، مستشهداً بقول النابغة الذبياني :

كليني لِهَمٍّ يا أمَ مَةُ نَاصِبِ وَلَيْلٍ أقاسِيهِ بَطِيء الكَواكِبِ [٨]

وناصب من نعت الهَمّ، وفِعلُهُ أنصَبَ وكان القياسُ أن يقال : مُنْصِبُ فجاء على معنى ذي نَصَبٍ ولَم يَجْرِ على الفعل [٩] ، والتقدير : لهم ذي نَصب [١٠] وهذا ما ذكره الزجّاج والمعنى : النسب إلى الاندفاق، المعنى : من ماءٍ ذي اندفاق [١١] . أما الزمخشري فقد ذكر أنّ معنى دافق النسبة إلى الدفق الذي هو مصدر، دفق، كاللّابن والتامر، أو الإسناد المجازي، والدفق في الحقيقة لصاحب [١٢] .

والراجح ما ذهب إليه النحّاس ومن قبله البصريون لأنّه لا يجوز أنْ يكون اسم الفاع ل بمعنى مفعول قياساً مطرداً، لمخالفته البيان كما ذهب إلى ذلك النحّاس لذا فالأولى أنْ يكون دالاً على النسب فهو أنسب للسياق وأدل على المعنى المراد، لهذا لا اتفق مع مَنْ ذهب إلى أنّ فاعل هنا بمعنى مفعول . بحجة أنّ صيغة فاعل إذا نابت عن مفعول أبلغ وأمكن في الوص ف من مفعول [١٣] .

وقد يوازن النحّاس بين استعمال اسم الفاعل والفعل كما في قوله تعالى : وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَع يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير النور ٤٥ .

ذكر النحّاس أنّ قوله تعالى : وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء) قراءة المدنيين وأبي عمرو وعاصم . وقرأ سائر الكوفيين خالِقُ كلَّ دابة [١٤] . ثم ذكر أنّ المعنيين صحيحان، فالله – جلّ وعزّ – أخبر بخبرين ، ولا ينبغي أنْ يقال في هذا أنّ أحد القراءتين أصحّ من الأخرى، لأنهما يدلان على معنيين . ثم بيّن أنّ خَلَقَ) في هذا الموضع أوجب من خالِق، لأنّ خالِق) تدلّ على

٧) ينظر : إعراب القرآن ، النحّاس ٥ ١٩٨ و ٢ ٨٢ .
٨) ديوانه ٥٤ ، والكتاب ١ ٧٠ ، والنكت في تفسير كتاب سيبويه ١ ٥٦ .
٩) تحصيل عين الذهب ١٢ .
١٠) الكتاب ٢ ٣٨٢ ، وينظر : المقتضب ٢ ٣٠ ، وجاء فيه : إنّما هو فيه نصب)
١١) معاني القرآن وإعرابه ٥ ٣٩ .
١٢) الكشاف ٤ ٣٦ ، وينظر : شرح الرضي على الكافية ٢ ١٥٤ .
١٣) ينظر : ظاهر التحويل في الصيغ الصرفية ٦٦ ، ودلالة البنية الصرفية في السور القرآنية القصار ٥٥ .
١٤) ينظر : السبعة في القراءات ٥٧ ، وإعراب القرآن ، النحّاس ٢ ١٤٣ .

العموم مستشهداً بقوله تعالى : ﴿الْخَالِقُ الْبَارِئ﴾ الحشر ٢٤. على حين ترد (خلق) للدلالة على الخصوص مستشهداً بقوله تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ الأنعام ١. وكـذا قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ الأعراف ١٨٩. لذا يرى أنّ قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء﴾ تكون أوجب لدلالتها على الخصوص (١٥).

والحق أنّ ما ذكره النحّاس ليس على إطلاقه؛ لأن (خالِق) جاءت في الغالب تدلّ على العموم فقد وردت تسع مرات في القرآن الكريم بهذه الدلالة. وقد وردت ثلاث مرات دالة على الخصوص (١٦)، منها قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ الحجر ٢٨. والجدير بالذكر أنّ الذي دعا النحّاس إلى القول بأنّ (خَلَق) تفيد الخصوص هو الإخبار عن وقوع الخلق في الماضي، قال أبو علي الفارسي : (ومنْ قال (خَلَق) فلأنه فعل ذلك فيما مضى، وحجته قوله : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ (١٧)، وقوله : ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾ (١٨)) (١٩).

أما دلالة اسم الفاعل على العموم فإنّها متأتية من ثبوت الوصف سواء أكان اسم الفاعل ماضياً أم مستقبلاً. وقد ذكر ابن خالويه ذلك في معرض حديثه عن الحجة فيمن قرأ بإثبات الألف وخفض (كل) قائلاً (فالحجة لمن أثبتها أنّه أراد الإخبار عن الله تعالى باسم الفاعل وخفض ما بعده بالإضافة؛ لأنّه بمعنى : ما قد مضى وثبت) (٢٠)، وأما على قراءة تنوين اسم الفاعل ونصب (كل). فهي دالة على المستقبل. أي : تحقق وثبوت الوصف.

وخلاصة القول إنّ الاسم يفيد الثبوت والفعل يفيد التجدد والحدوث، لأن (كل ما كان زمنياً فهو متغير والتغيرّ مشعر بالتجديد، فإذن الإخبار بالفعل يفيد وراء أصل الثبوت كون الثابت في التجدد، والاسم لا يقتضي ذلك، ويشبه أن يكون الاسم في صحة الإخبار به أعم وإن كان الفعل فيه أكمل وأتم؛ لأن الإخبار بالفعل مقتصر على الزمانيات أو ما يقدر فيه ذلك والإخبار بالاسم لا يقتضي ذلك) (٢١). وكذلك وازن النحّاس بين اسم الفاعل وصيغة المبالغة كما في قوله تعالى : ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾ الشعراء ٥٦. فذكر النحّاس أنّ قراءة المدنيين وأبي

(١٥) ينظر : إعراب القرآن، النحّاس ٣/ ٤٣ - ٤٤.
(١٦) راجع : سورة الواقعة ٥٩، وسورة ص ٧١، وينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ٢٤٤.
(١٧) سورة إبراهيم ١٩.
(١٨) سورة الفرقان ٢.
(١٩) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٢٢٦.
(٢٠) الحجة في القراءات السبع ٢٦٢.
(٢١) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ٥٠، وينظر : معاني الأبنية ١٠.

عمرو حَذِرُون [١٢]. وكذلك قرأها ابن كثير . وقراءة الكوفيين وابن عامر حاذرون [١٣]. ثم ذكر أن أبا عبيدة يذهب إلى أنّ معنى : حذرين وحاذرين واحد، وهو قول سيبويه وأجاز سيبويه هو حَذِرٌ زيداً، كما يقال : حاذِرٌ زيد، [١٤]، وانشد :

حَذِرٌ أموراً لا تَضِيرُ وآمِنٌ　　　ما لَيْسَ مُنْجِيَهُ من الأقدار [١٥]

والشاهد فيه : أنّه أعمل (حَذِر) عمل الفعل [١٦]، فينصب (أمور) لأنّه تكثير (حاذر) و (حاذر) يعمل عمل فعله المضارع، وإنّما جاز ذلك عند سيبويه؛ لأنّه عنده مُغيّر من بنائه للتكثير وقد خُولف سيبويه في تعدي (فَعِل وفعيل) ؛ لأنهما بناءان لما لا يتعدى في الأصل، وسيبويه لا يراعى موافقته لبناء ما لا يتعدى إذا كان منقولاً من (فاعل) المتعدي للتكثير وهو القياس [١٧].

ثم بيّن النحّاس أنّ أكثر النحويين يفرقون بين (حَذِر) و (حاذِر) منهم الكسائي والفرّاء والمبرّد ، و يذهبون إلى أن معنى : (حَذِر) في خِلْقَته الحذر، أي : منتبه متيقظ [١٨]. فإذا كان هكذا لم يتعدَّ، ومعنى : (حاذر) مستعد [١٩]، وبهذا جاء التفسير عن المتقدمين [١٠٠]. والجدير بالذكر أنّ النحّاس أخذ دلالة (حَذِر) من الفرّاء ، وأغفل ما ذكره الفرّاء عن دلالة (حاذِر). الذي يرى فيها أنّه هو الذي يحذرك الآن [١٠١]. وهذه إشارة من الفرّاء إلى أنّ (حاذِر) يدل على الزمن الحاضر . والحذر يدل على صفة ثابتة في المنعوت فكأنها لا تنفك عنه .

أما أبو علي الفارسي وابن خالويه فيذهبان إلى أنّ (حاذر) هو الرجل الذي يفعل في المستقبل لا في وقته [١٠٢] في حين ذهب الزمخشري إلى أنّ (الحاذر) هو الذي يجدد حذره [١٠٣]. فكان اهتمامه بالحدث من دون الزمن .

---

(١٢) ينظر : إعراب القرآن ٢/ ١٨٠.
(١٣) ينظر : السبعة في القراءات ٤٧١.
(١٤) ينظر : الكتاب ١/ ١٣.
(١٥) الشاهد قائله غير معروف . ينظر : الكتاب ١/ ١٣، والرواية فيه : حَذِرٌ أموراً لا تخاف . وإعراب القرآن ، النحّاس ٢/ ١٨١.
(١٦) ينظر : شرح أبيات سيبويه ، السيرافي ١/ ٢٧٠.
(١٧) ينظر : تحصيل عين الذهب ١/ ١٠.
(١٨) ينظر : معاني القرآن، الفرّاء ٢/ ٢٨٠ والمقتضب ٢/ ١٤ – ١٥.
(١٩) ينظر ، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٩١.
(١٠٠) ينظر : معاني القرآن، الفرّاء ٢/ ٢٨٠، وإعراب القرآن، النحّاس ٢/ ١٨١.
(١٠١) ينظر : معاني القرآن ، الفرّاء ٢/ ٢٨٠.
(١٠٢) ينظر : الحجة في القراءات السبع ٢٦٧، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٥٩.
(١٠٣) ينظر : الكشاف ٣/ ٣٢١.

ونظير ذلك قوله تعالى : (فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً فقتله قال أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً) الكهف ٧٤ . ذكر النحّاس أنّ أهل الحرمين وأبا عمرو بن العلاء قرأوا (زاكِيَ) وقرأ الكوفيون (زَكِيّ)[١٠٤] ، وكذلك ابن عامر[١٠٥] . ثم ذكر أن أبا عمرو يرى أن (زاكِيَ) ههنا أولى؛ لأنّ الزاكيَة التي لا ذنب لها، وكان الذي قتله الخضر – صلى الله عليه – طفلاً، وخالفه في هذا أكثر الناس، فقال الكسائي والفرّاء إنّ معنى : زكية وزاكِيَة واحد[١٠٦] . أما معنى : (زَكِيّ) فهي النفس البريئة التي لم تُذْنِب قط، ولم يُرَ ما يوجب قتله[١٠٧] . ثم نقل النحّاس رأياً يخالف ما ذهب إليه الفرّاء وهو أنّ الأمر لو كان على ما قال لكان (زَكِيّ) أولى لأنّ (فعيل) أبلغ من (فاعل)[١٠٨] . وهذا الراجح لدلالة هذه الصيغة على المبالغة قال البنّاء : أخرج إلى فعيله للمبالغة[١٠٩] .

اسم التفضيل :

المراد باسم التفضيل هو الصفة الدالة على المشاركة والزيادة[١١٠] أو هو الاسم المصوغ من المصدر للدلالة على أنّ شيئين شتركا في صفة وزاد أحدهما على الآخر في تلك الصفة[١١١] . ويشترط في صياغة اسم التفضيل شروط عدة ، منها : أنْ يصاغ من فعل ثلاثي مجرد ليس فيه دلالة على لون أو عيب ظاهر[١١٢] . فإذا جاء ما ظاهره خلاف ذلك نحو قوله تعالى : (وَمَن كَانَ فِي هَـذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً) الإسراء ٧٢ .

لجأ النحويون إلى التقدير فقدر النحّاس قوله عز وجل (فهو في الآخرةِ أعْمَى) أعمى منه في الدنيا، ثم بين سبب مجيء اسم التفضيل دالاً على العيب فذكر رأي المبرد، إنّما جاز هذا لأنّه من عَمَى القلب، ويقال في عَمَى القلب فلان أعمى من فلان، وفي عَمَى العين، فلان أبين عَمًى من فلان، ولا يقال أعْمَى منه[١١٣] ، ثم قال النحّاس إنّما لم يقل : أعمى منه في عمى العين عند الخليل وسيبويه؛ لأنّ عمى العين شيء ثابت مرئي كاليد والرجل فكما لا تقول : ما

(١٠٤) ينظر : إعراب القرآن ، النحّاس ٢ /٤٦٦ .
(١٠٥) ينظر : السبعة في القراءات ٣٩٥ .
(١٠٦) ينظر : معاني القرآن، الفرّاء ٢ /١٥٥ ، وإعراب القرآن ، النحّاس ٢ /٤٦٦ ، والكشاف ٢ /٤٨٧ .
(١٠٧) ينظر : معاني القرآن وإعرابه ٣ /٤٧٣ ، وإعراب القرآن ، النحّاس ٢ /٤٦٦ .
(١٠٨) ينظر : إعراب القرآن، النحّاس ٢ /٤٦٦ .
(١٠٩) إتحاف فضلاء البشر ٣٧٠ .
(١١٠) شرح قطر الندى وبل الصدى ١٥٧ .
(١١١) شذا العرف في فن الصرف ٥٢ .
(١١٢) ينظر : المفصل في صنعة الإعراب ٨٨ ، وشرح الرضي على الكافية ٣ /٥٠٠ ، وشرح ابن عقيل ٢ /١٨٠ .
(١١٣) ينظر : المقتضب ١ /٢٤٥ ، وإعراب القرآن، النحّاس ٢ /٢٧٩ .

أيداه، لا تقول : ما أعماه (١٤) . وكذلك أشار النحّاس إلى أنّ فيه قولين آخرين : الأول : قال الأخفش إنّما لم يقل : ما أعماه لأنّ الأصل في فعله . أعميَّ وأعمايَّ، ولا يتعجب مما جاوز الثلاثة إلّا بزياد .

القول الثاني : إنّهم فعلوا هذا للفرق بين عمى القلب وعمى العين (١٥) .

ثم أشار النحّاس إلى أنّ الفرّاء حكى عن بعض النحويين ما أعْمَاه وما أعْشَاه وما أزرقه وما أعْوَرَ . لأنهم يقولون : عَمِي وعَشِي وعَور (١٦) ، وأجاز الفرّاء في الكلام والشعر، ما أبيضه، وسائر الألوان .

وعاد النحّاس إلى كلام المبرد في الآية وهو أنْ يكون من قولك : فلان أعمى، لا يريد : أشدُّ عمى من غيره، إنما يريد هو أعمى في الآخرة كما كان في الدنيا (١٧) .

وقد رجّح النحّاس القول الأول أي قول الأخفش . ليكون المعنى عليه ؛ لأنّ بعده قوله تعالى : وأضلّ سبيلا ، والتقدير : منه في الدنيا .

واعتمد كذلك على ما روي عن أبي عمرو بن العلاء، إنّه : قال تجوز الإمالة في قوله جلّ وعزّ ومَنَ كَانَ فِي هَذِهِ أعْمَى) ولا تجوز الإمالة في قوله : فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أعْمَى ، يذهب إلى أنّ الألف في الثاني متوسطة؛ لأنّ تقديره : أعمى منه في الدنيا، ولو لم يُرد هذه لجازت الإمالة (١٨) .

والجدير بالذكر أنّ ما نقله النحّاس عن المبرّد كان الفرّاء قد سبقه إليه، بقوله : وإنّما جاز في العمى لأنّه لم يُرد به عَمَى العين إنّما أراد به – والله أعلم – عمى القلب ، فيقال : فلان أعْمَى من فلان في القلب، ولا تقل هو أعْمَى منه في العين (١٩) .

أمّا ما ذكره النحّاس عن الفرّاء بإجازته التفاضل من الأبيض وسائر الألوان في الكلام والشعر فهذا ليس دقيقاً، لأنّ الفرّاء قال : فإذا كان على فعْللت . مثل : زَخْرَفْتَ ، أفْعَلَلْتَ ، مثل أحْمَرَرْتَ وأصْفَرَرْتَ لم يقولوا : هو أفعلُ منك، إلّا أن يقولوا : هو أشدُّ حُمْرَةً مِنْكَ، واشدُّ

(١٤) ينظر : الكتاب ١/ ١٨.
(١٥) ينظر : إعراب القرآن ، النحّاس ٢/ ٣٥٤ .
(١٦) ينظر : معاني القرآن ، الفرّاء ٢/ ١٢٨ .
(١٧) ينظر : المقتضب ٤/ ٨٢ ، وإعراب القرآن ، النحّاس ٢/ ٣٥٤ .
(١٨) ينظر : إعراب القرآن ، النحّاس ٢/ ٣٥٤ .
(١٩) معاني القرآن ، الفرّاء ٢/ ١٢٧ – ١٢٨ .

زَخْرَفَةً مِثْلَ) (٢٠). لكنه أجاز التفاضل من الأبيض والأسود نحو قولهم : الله أبيضك والله أسودك (٢١).

وإنّما جاز التفاضل من الأبيض والأسود عند الكوفيين لأنّهما أصلا الألوان (٢٢).

والراجح هو ما ذهب إليه الفرّاء والنحّاس من أنّ المراد بالعمى هو عمى القلب، ومما يؤكد ذلك أنّه لم يكن أعمى العين في الدنيا لكي يكون في الآخرة أعمى منه في الدنيا بل كان أعمى البصيرة في الدنيا فزاد عمى في الآخرة بدليل قوله تعالى : (فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) (الحج ٤٦).

وقد يربط النحّاس بين معتقده لديني والتفضيل كما في قوله تعالى : (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ * قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللّهِ مَن لَّعَنَهُ اللّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَـئِكَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضَلُّ عَن سَوَاء السَّبِيلِ) (المائدة ٥٩ – ٦٠). فأبدى النحّاس تساؤلاً، يقال ليس في المؤمنين شرٌّ، فكيف جاء (أولئك شرٌّ مكاناً) ؟ فيرى أنّ في هذا أجوبة :

الأول : حكى الكوفيون : العسلُ أحلى من الخلّ، وإنْ كان مردوداً (٢٣)؛ لأنّ هذا القول يُراد به : أنْ تفضل شيئاً في كمال اتصافه بصفته على شيء آخر متصف بصفة أخرى مغايرة لتلك الصفة فالخل ليس مشاركاً للعسل في الحلاوة، وإنّما المعنى : أنّ اتصاف العسل بالحلاوة أكثر من اتصاف الخل بالحموضة (٢٤).

الثاني : المعنى : أولئكَ شَرٌّ مكَاناً على قولكم، ونسب هذا القول إلى أبي إسحاق الزجّاج (٢٥). والحق أنّ الزجّاج قال : (هؤلاء الذين هذه صفتهم) (٢٦).

الثالث : أنْ يكون المعنى : أولئك الذين لعنهم الله شرٌّ مكاناً في الآخرة من مكانكم في الدنيا، لما لحقكم من الشرّ، وهذا أحسن ما قيل عند النحّاس.

الرابع : أولئك الذين نسيهم الله شَرٌّ من الذين نقموا عليكم (٢٧).

والخامس : أولئك الذين نقموا عليكم شرٌّ من الذين لعنهم الله (٢٨).

(٢٠) معاني القرآن، الفرّاء ٢ / ١٢٧.
(٢١) ينظر : المصدر نفسه ٢ / ١٢٨.
(٢٢) ينظر : شرح الرضي على الكافية ٣ / ٤٥٠.
(٢٣) ينظر : إعراب القرآن، النحّاس ٢ / ٢٠.
(٢٤) ينظر : شذا العرف في فن الصرف ٧٤، ومعاني النحو ٤ / ٢٦٨.
(٢٥) ينظر : إعراب القرآن، النحّاس ٢ / ٢٠.
(٢٦) معاني القرآن وإعرابه ٢ / ١٥٣.
(٢٧) ينظر : إعراب القرآن، النحّاس ٢ / ٢٠.

والرأي عندي أنّ التساؤل الذي طرحه النحّاس لم يكن في محله فليس للمؤمنين ذكر في السياق أصلاً وإنما كان الكلام موجها لأهل الكتاب أي : أن اسم الإشارة موجّه للذين وصفوا في الآية من أوصاف تنمّ عن قبح صفاتهم، واسم التفضيل جاء للدلالة على الزيادة المطلقة لهذه الصفات لا بالإضافة إلى مَنْ يشاركهم في الشر والضلال وجُعِل مكانهم شراً ليكون أبلغ في الدلالة على شرارتهم، ومما يؤكد ذلك عطف (وأضلُّ عن سَوَاء السَّبِيلِ) على (شَرٌ) ، أي : أكثر ضلالاً عن الطريق المستقيم، وفيه دلالة على كون دينهم فيه شراً محض [٢٩] .

٣ . الأفعال :

وقف النحّاس على عدد من أبنية الأفعال مبيناً دلالاتها ، وأثر هذه الدلالات في التحليل النحوي، فمن ذلك : صيغة (تفاعَلَ) في قوله تعالى : (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا) الفرقان ١ . ذكر النحّاس أقوال العلماء في معنى (تَبَارَكَ) .

الأول : أنّ تَبَارَكَ وتَقَدَّسَ، بمعنى واحد وهما للعظمة، وهذا قول الفرّاء [٣٠] .

الثاني : أنّ (تَبَارَكَ) على (تَفاعَلَ) وهي من البركة، ومعنى البركة : الكثرة من كلّ ذي خيرٍ . وهذا قول الزجّاج [٣١] .

الثالث : أنّ (تَبَارَكَ) بمعنى تعالى .

الرابع : المعنى : تعالى عطاؤه، أي : زاد وكَثُر .

والخامس : المعنى : دام وثبُت إنعاما . ويرى النحّاس أنّ هذا المعنى هو الأولى في اللغة، لأنّ أصله من : برك الشيء إذا ثبت، ومنه برك الجمل [٣٢] . وكذلك يرى أنّ كلام الفرّاء مخلط لأنّ التقديس ؛ إنّما هو الطهارة وليس (تَبَارَكَ) من هذا [٣٣] .

والراجح عندي هو الرأي الرابع، أي : أنّ (تَبَارَكَ) بمعنى : تعالى عطاؤه أي زاد وكَثُرَ، ومما يعضّد ذلك أنّ صيغة (تَفَاعَلَ) تدلّ على التكرار إذا كان (تفاعل) من جانب واحد على وجه الكثرة [٣٤] . ولا شك أنّ تفاعل هنا من جانب واحد إذّ لا يشارك الله سبحانه فيها أحدٌ .

---

(٢٨) ينظر : إعراب القرآن ، النحّاس ١/ ٥٠٢ .
(٢٩) ينظر : إرشاد العقل السليم ٢/ ٦٠ .
(٣٠) ينظر ، معاني القرآن ، الفرّاء ٢/ ٢٦٢ ، وإعراب القرآن ، النحّاس ٣/ ١٥١ .
(٣١) ينظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٤٥ ، وإعراب القرآن ، النحّاس ٣/ ١٥١ .
(٣٢) ينظر : إعراب القرآن ، النحّاس ٣/ ١٥١ ، والمفردات في غريب القرآن ٥٤ وينظر : لسان العرب مادة برك ١٠/ ٣٦٥ - ٣٦٦ .
(٣٣) ينظر : إعراب القرآن ، النحّاس ٣/ ١٥١ .
(٣٤) المهذّب في علم التصريف ١١٧ .

فضلاً عن ذلك أنّ معنى زيادة الخير وكثرته يتناسب مع السياق الذي يتحدث عن تنزيل الفرقان أي : القرآن على عبده ولا خير يعادل تنزيل القرآن .

قال الزمخشري : البرك : كثرة الخير وزيادته ومنها : تبارك الله) الأعراف ٥٤ وفيه معنيان : تزايد خيره، وتكاثر، أو تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وأفعاله [٣٥] .

وقد تتعد صيغ الفعل الماضي في المادة الواحدة بين التجرد والزيادة، نحو قوله تعالى : فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنّاً بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاء حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ محمد ٤ .

ذكر النحّاس أنَّ قوله : والذين قاتَلُوا فلَنْ يُضِلَّ أعمالهم) قراءة أبي جعفر وشيبة ونافع وأبن كثير والأعمش وحمزة والكسائي وأبي بكر عن عاصم [٣٦] . وقرأ عاصم والذين قتَلو [٣٧] . وقرأ أبو عمرو والأعرج وحفص عن عاصم (قُتِلو) [٣٨] وعن الحسن أنّه قرأ (قُتّلو) مشدّد [٣٩] .

ورجّح النحّاس قراءة (قاتَلُو ، ويرى أنّ عليها حجة الجماعة وهي أبين في المعنى، ثم بيّن أنّ بعض أهل اللغة زعم أنّه يختار أن يقرأ قاتلو ، لأنه إذا قرأ (قُتِلو) لم يكن الثواب إلّا لمَنْ (قُتِل) ، وإذا قرأ (قتَلُو) لم يكن الثواب إلّا لمن (قتَل ، وإذا قرأ (قاتَلُوا) عمّ الجماعة بالثواب، ويرى أنّ هذا احتجاج حسنٌ، غير أن أهل النظر يقولون : إذا قُرئ الحرف على وجوه وكانت كل واحدة تفيد معنى [٤٠] .

أمّا أبو علي الفارسي فيرى أنَّ قراءة الذين قاتَلُو) أعمّ من (قُتِلو) لأنّ الذي قاتل ولم يُقتل، لم يضلّ عمله، كما أنّ الذي قُتِل كذلك فاشتمل بذلك القبيلين، وقد حصل للمقاتل الثواب في قتاله كما حصل للمقتول فكان لعمومه أولى .

أما مَنْ قال (قُتِلو) فقد حصر ذلك على المقتولين، فله أنْ يقول : إنّ المقتول لا يُقتل حتى يكون منه مقاتلة في أكثر الأمر وإن كان كذلك فقد جَعل في (قُتِلو) ما في قاتَلُو [٤١] .

---

(٣٥) الكشاف ٣ /٦٧ .
(٣٦) السبعة في القراءات ٦٠٠ ، وإعراب القرآن، النحّاس ٤ : ١٨٠ .
(٣٧) إعراب القرآن، النحّاس ٤ : ١٨٠ .
(٣٨) السبعة في القراءات ٦٠٠ ، وإعراب القرآن ، النحّاس ٤ : ١٨٠ .
(٣٩) إعراب القرآن ، النحّاس ٤ : ١٨٠ .
(٤٠) إعراب القرآن ، النحّاس ٤ : ١٨٠ .
(٤١) ينظر : الحجة للقرّاء السبعة ٦ / ١٩٠ .

ومن الدلالة الزمنية للأفعال أجاز النحّاس أنْ يأتي (فعَل) بمعنى: يَفعُل) كما في قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ) المائدة ١١٦.

فذكر النحّاس أنّ معنى: (إذْ قال) بمعنى: إذْ يقول الله يوم القيامة) و فعل) تأتي بمعنى: (يَفْعُل) و (يَفْعُل) بمعنى: (فعَل) إذا عُرِف المعنى؛ لأنّ الفعل واحد وإنّما اختلف لاختلاف الزمان[٤٢].

وإنّما أجاز النحّاس أنْ يأتي الماضي بمعنى المضارع؛ لأنّه يرى أنّ هذه المقالة ستقع في المستقبل، أي: يوم القيامة، وهذا ما ذهب إليه أكثر المفسرين، والدليل على ذلك ما ورد قبله من قوله تعالى: (يَوْمَ يَجْمَعُ اللّهُ الرُّسُلَ) المائدة ١٠٩، وما ذُكِر بعده من قوله تعالى: (قَالَ اللّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ) المائدة ١١٩، وعلى هذا تكون (إذ) بمعنى: (إذا)[٤٣]، وإنّما جاز ذلك لأنّ الأمور المستقبلة لما كانت في إخبار الله تعالى متيقنة مقطوع بها، عُبّر عنها بلفظ ما كان ووجد والمعنى على الاستقبال[٤٤].

قال الدكتور إبراهيم السامرائي إنّ بناء فَعَل، وبناء يَفْعل، لا يمكن أنْ يدلا على الزمان بأقسامه وحدوده ودقائقه، ومن هنا فإن الفعل العربي لا يفصح عن الزمان بصيغه وإنّما يتحصل الزمان من بناء الجملة فقد تشتمل على زيادات تُعين الفعل على تقرير الزمان في حدود واضحة)[٤٥].

وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن قوله (إذْ قال الله) هو في الزمن الماضي لأن هذا القول وقع حينما رفع الله عيسى - صلى الله عليه وسلم - إلى السماء وقالت النصارى فيه ما قالت، واحتجوا بقوله: (إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ) المائدة ١١٨، واحتجوا أيضاً بدلالة (إذ) على الماضي وهذا ما اختاره الطبري[٤٦].

والراجح هو الرأي الأول لأنّ حجة مَنْ ذهب إلى خلاف هذا مردودة لأنّ هذه المقالة لم تكن حين رفعه إلى السماء بل في الآخرة توبيخاً للكفرة وتبكيتاً لهم، فإقراره - عليه السلام

(٤٢) ينظر: إعراب القرآن، النحّاس ٢/ ٥١.
(٤٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٦/ ٧٤-٧٥، ومفاتيح الغيب ٦/ ١٠٠.
(٤٤) ينظر: الكشاف ١/ ٣٨٤، والجنى الداني ١٨٨، والزمن في النحو العربي ١٨١.
(٤٥) الفعل زمانه وأبنيته ٢٤.
(٤٦) ينظر: جامع البيان ٧/ ١٣٥.

– على رؤوس الأشهاد بالعبودية ، وأمره لهم بعبادته عزّ وجلّ، وصيغة الماضي لما مرّ من الدلالة على التحقق والوقوع)[٤٧].

وقد يوازن النحّاس بين صيغتين للفعل المضارع إحداهما من الثلاثي والأخرى من الرباعي نحو قوله تعالى : وَلَمَّا وَرَدَ مَاء مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء وَأَبُ ونَا شَيْخٌ كَبِير القصص ٢٣.

ذكر النحّاس أنّ قوله تعالى : حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء) قراءة أهل الكوفة وأهل الحرمين إلّا أبا جعفر فإنه قرأ حَتَّى يَصْدُرَ الرِّعَاء) وكذا قرأ أبو عمرو وابن عامر[٤٨].

فمعنى القراءة الأولى : حتى يُصْدِرَ الرعاة مواشيهم[٤٩]. أي أنّه جعله فعلاً هم فاعلوه يتعدى إلى مفعول)[٥٠].

ومعنى القراءة الثانية : حتى ينصرف الرعاة[٥١]، أي : حتى يرجعوا من سقيهم[٥٢]، وعلى هذا جعله فعلاً لهم غير متعدٍ إلى غيره)[٥٣]. ثم يرى النحّاس أنّ القراءتين أفادتا معنيين هما حسنان إلّا أنّ يُصْدِرُ) أشبه بالمعنى، وذكر أنّ أبا حاتم يزعم أنّ المعنى : حتى يصدروا مواشيهم ولم يرد حتى ينصرفوا إنْ شاء الله[٥٤].

ولعلّ ترجيحه للقراءة الأولى مبني على أن إصدار الرعاة لمواشيهم يترتب عليه انصرافهم، وانصرافهم يعني إصدارهم لمواشيهم فكلتا القراءتين متعلقة بالأخرى .

الخاتمة:

بعد وقوفنا على أثر الأداء الصوتي والبنية الصرفية في التحليل النحوي عند النحّاس تبيّن لنا ما يأتي :

---

(٤٧) إرشاد العقل السليم ٢/ ٢٠٠.
(٤٨) ينظر : السبعة في القراءات ٤٩٦٠ ، وإعراب القرآن، النحّاس ٣/ ٢٣٤ ، ومعاني القراءات ٢٦٤/٢.
(٤٩) ينظر : إعراب القرآن ، النحّاس ٣/ ٢٣٤.
(٥٠) الحجة في القراءات السبع ٢٧٦.
(٥١) ينظر : إعراب القرآن ، النحّاس ٣/ ٢٣٥.
(٥٢) ينظر : الحجة للقرّاء السبعة ٥/ ٤١٢.
(٥٣) الحجة في القراءات السبع ٢٧٦.
(٥٤) ينظر : إعراب القرآن ، النحّاس ٣/ ٢٣٥.

١ . تنبّه النحاس إلى أنّ مواضع القطع والائتناف مرتبطة بالمعنى وبالحكم الإعرابي ،وهذا يكون بحسب المعاني وانفصال بعض الكلام عن بعض أو تعلقه به،وهو ما يسمى بالوقف المعنوي .

٢ . يرى النحّاس أنّ التشديد والتخفيف مرتبط بمعنى التركيب ودلالة السياق،فإذا كان السياق يتطلب المبالغة والتكثير رجّح التشديد .

٣ . كان للنحاس رأي متميّز في مسألة عدم خروج اسم الفاعل عن دلالته الأصلية إذ يرى أن الأولى في اسم الفاعل أن يبقى على بابه في الدلالة على الحدث وصاحبه .

٤ . قد يربط النحّاس بين معتقده الديني والتركيب النحوي كما جاء في حديثه عن التفضيل في قوله تعالى : ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللّهِ مَن لَّعَنَهُ اللّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَـئِكَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضَلُّ عَن سَوَاء السَّبِيلِ﴾ المائدة ٦٠

٥ . جوّز النحّاس أن يأتي (فعل) بمعنى (يفعل) وبالعكس وذلك إذا عُرف المعنى ؛لأنّ الفعل واحد وإنما اختلف لاختلاف الزمان .

المصادر والمراجع:

- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر : البناء (١١١٧ هـ) ، وضح حواشيه الشيخ أنس مهرة، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٣ ، ٢٠٠٨م .
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي أبو السعود، دار إحياء التراث العربي بيروت .
- إعراب القرآن : لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحّاس (٣٣٨ هـ) ، تحقيق : د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ٢ ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م .
- البنى والدلالات في لغة القصص القرآني دراسة فنية ، د. عماد عبد يحيى، دار دجلة، عمّان، ١ ، ٢٠٠٩م .
- تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب : الأعلم الشنتمري (٤٧٦ هـ) ، حققه وعلّق عليه، د . زهير عبد المحسن سلطان، دار الشؤون الثقافية العامة، سلسلة خزانة الأدب، بغداد، ١ ، ١٩٩٢م .

- التحليل اللّغوي في ضوء علم الدلالة : ا. محمود عكاشة، دار النشر للجامعات ، القاهرة، ١ ٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م.
- التفكير اللغوي بين القديم والجديد : ا. كمال بشر، دار غريب ، القاهرة ٢٠٠٥م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد الطبري، مطبعة دار الفكر، بيروت
- الجنى الداني في حروف المعاني : الحسن بن قاسم المرادي، تحقيق : ا. فخر الدين قباوة، والأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١ ٤١٣ هـ - ١٩٩٢م.
- الحجة في القراءات السبع، ابن خالوية، تحقيق وشرح د . عبد العال سالم مكرم، دار الشروق ن بيروت، القاهرة، ٣ ٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م.
- الحجة للقراء السبعة : أبو علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي ١ ٧٧ هـ) ، تحقيق : بدر الدين قهوجي، وبشير جويجاني، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، ١ ٤٠٤ هـ – ١٩٨٤م.
- دلالة البنية الصرفية في السور القرآنية القصار : ا. جلال الدين يوسف العيداني، دار الراية للنشر والتوزيع، عمّان، ١ ٤٣١ هـ - ٢٠١٠م .
- الدلالة والتقعيد النحوي دراسة في فكر سيبويه) : ا. محمد سالم صالح، دار غريب، القاهرة ٢٠٠٨م.
- دور الصرف في منهجي النحو والمعجم : ا. محمد خليفة الدنّاع، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي ١٩٩١م.
- ديوان النابغة الذبياني، صنعه ابن السكّيت ، تحقيق د . شكري فيصل ، دار الفكر، بيروت، ١ ٤١٠ هـ - ١٩٩٠م.
- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني : محمد أبو الفضل الآلوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت
- السبعة في القراءات : ابن مجاهد ٤ ٢٤ هـ ، تحقيق د . شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة، ٣ .
- الزمن في النحو العربي : ا. كمال إبراهيم بدري، دار أميّة للنشر والتوزيع، الرياض، ١ ٤٠٤ هـ

- السبعة في القراءات : ابن مجاهد ، ٢٤ هـ ، تحقيق د . شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة، ٣ .

- شذا العرف في فن الصرف : أحمد بن محمد بن أحمد الحملاوي ، تحقيق محمد بن فريد، المكتبة التوفيقية، القاهرة ، ت) .

- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : تحقيق د . هادي حسن حمودي ، دار الكتاب العربي، بيروت، ، ٤٢٠ هـ - ٩٩٩ ، .

- شرح أبيات سيبويه : أبو محمد يوسف بن أبي سعيد المرزباني السيرافي ، تحقيق د . محمد علي الريح هاشم، منشورات مكتبة الكليات ، الأزهر، دار الفكر ، القاهرة ٩٧٤ ، .

- شرح ديوان الفرزدق : جمع وتعليق عبد الله إسم عيل الصاوي ، مطبعة الصاوي، مصر ٩٣٦ ، .

- شرح الرضي على الكافية : محمد بن الحسن الرضي الأسترآبادي ، ٨٨ هـ) : تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، طهران، ط ٢ ، ٣٨٤ هـ .

- شرح قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام الأنصاري ، ٦١ هـ ، تحقيق : تركي عبد الك ريم المصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ، ٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ ، .

- شرح المُراح في التصرف : بدر الدين محمود العيني ، ٥٥ هـ) ، حققه وعلق عليه : د . عبد الستار جواد، مطبعة الرشيد ، بغداد ، ت) .

- شعر عبد الله بن الزبعري : تحقيق يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ٢ ، ٩٨١ ، .

- علم اللغة العام الأصوات) : د . كمال بشر، دار المعارف، مصر ٩٧٠ ، .

- علم الوقف والابتداء في القرآن الكريم واللغة العربية : د . عبد الرزاق أحمد محمود الحربي، ديوان الوقف السني، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، سلسلة الدراسات الإسلامية المعاصرة، بغ اد، ، ٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ ، .

- الفعل زمانه وأبنيته : د . إبراهيم السامرائي، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط ٢ ، ٤٠٠ هـ - ٩٨٠ ، .

- الكتاب : سيبويه ، ٨٠ هـ) ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار القلم ، بيروت، ٩٦٦ ، .

- كتاب القطع والائتناف : لأبي جعفر النحّاس، تحقيق د . أحمد خطاب ا لعمر ، وزارة الأوقاف العراقية، إحياء التراث الإسلامي، مطبعة العاني ، بغداد ٣٩٨ هـ - ٩٧٨ ، .

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، ٣٨ ،) ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ت) .

- لسان العرب : ابن منظور ، دار الحديث، القاهر ٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢م .

- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإفصاح عنها : أبو الفتح عثمان بن جني ، ٩٢ هـ) ، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ، بيروت، ا ٤١٩ هـ - ٩٩٨ ، .

- مشكل إعراب القرآن : مكي بن بي طالب القيسي ، ٣٧ هـ) ، تحقيق ياسين محمد السواس، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق ٣٩٢ هـ - ٩٧٤ ، .

- معاني الأبنية في العربية : ا . فاضل صالح السامرائي، مطبعة الآداب، ٤٠١ هـ – ٩٨١ ، .

- معاني القراءات : أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري ، ٧٠ هـ) ، حققه وعلق عليه الشيخ : أحمد فريد المزيدي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ٤٢٠ هـ - ٩٩٩ ، .

- معاني القرآن : أبو بكر يحيى بن زياد الفرّاء ، ٠٨ هـ) ، حقق الجزء الأول والثاني : أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، ٩٥٥ ، . وحقق الجزء ا ثالث : ا . عبد الفتاح شلبي، وراجعه : ا . علي النجدي ناصف، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٩٧٢ ، .

- معاني القرآن وإعرابه : أبو إسحاق إبراهيم السري الزجاج ، ١١ هـ) ، تحقيق د . عبد الجليل عبدة شلبي، خرج أحاديثه علي جمال الدين، دار الحديث ، القاهرة، ٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ ، . م اني النحو : ا . فاضل صالح السامرائي، دار الفكر ، عمان ، د ٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣م .

- المفردات في غريب القرآن : الراغب الأصفهاني (٥٠٢ هـ) : راجعه وقدم له وائل احمد عبد الرحمن ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة، (د ت) .
- المقتضب : لأبي العباس محمد بن يزيد المبرّد ت ٢٨٥ هـ) تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، الكتاب السادس .
- المنهج الصوتي للبنية العربية : د. عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م.
- المهذّب في التصريف : د. هاشم طه شلاش ، عبد الجليل العاني، مهدي الفرطوسي ، دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد .
- النكت في تفسير كتاب سيبويه : الأعلم الشنتمري (٤٧٦ هـ) ، تحقيق : د. زهير عبد المحسن سلطان، منشورات معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الكويت، ط١ .
- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز : الفخر الرازي، مطبعة الآية وال مؤيد، القاهرة، ١٣١٧هـ،
- الوقف الصرفي ما يوقف عليه وما لا يوقف : محمد خليل الزروق، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط١ ١٩٩٩م .